

# يسودها القتل والتدمير والمؤامرات وجبروتها ممزوج بالمجون

شمس الدين العجلاني

قد لا يعجب البعض ما سوف نقرأ في الأسطر التالية عن الدولة العلية العثمانية، ولكن المرجو أن نقرأ بتؤدة وحيادية.. في الزمن الماضي بلغت الدولة العثمانية نروة مجدها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاث: أوروبا وآسيا وأفريقيا، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمال أفريقيا. وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحي بعضها بشكل جزءاً فعلياً من الدولة مع مرور الزمن، على حين حصل بعضها الآخر على نوع من الاستقلال الذاتي.

الجواري

يقولون إن الجارية هي كل امرأة سلبت أو نهبت في الحروب أو من قطاع الطرق أو من ولدت لأمّة وعبد مملوك، وأغلبية جواري القصر العثماني كانت تأتي من اليونان وإيطاليا والبنانيا والنمسا وروسيا والقرم والبندقية، يتم شراؤهن من أسواق الخخاسة، أو سبائا الحروب، أو هدايا من ملوك وأمراء ووزراء، وعدد قليل منهن يقدمهن أهلهن هدية للسلطان براضهن، وأغلبهن معظمه- كانت تصنعه الجوارى اللاتي سيطرن على صغيرة عند دخولهن لقصر السلطان العثماني فقتراوح بين ١٤ و١٨ سنة، ومن لم يكن مسلمات. ويتم تقسيم مهامهن في القصر تبعاً للمهوبة والجمال والثقافة، ومن تتمتع بقرع عال من الجمال والثقافة وحسن الحديث تكون من محظيات السلطان، والبقية يتم توزيعهن لخدمة سيدات القصر..

وعن دور الجوارى في الدولة العثمانية يقول أحمد صبحي منصور في كتابه «في أروقة الحرم العثماني»: «تاريخ المسلمين في عصر الخلفاء غير الراشدين- في معظمه- كانت تصنعه الجوارى اللاتي سيطرن على الخليفة والخلافة.. أولئك الخلفاء سلبووا النساء حربيتن وجلوطن جواري فقامت الجوارى بالتحكم فيمن سلبهن حربيتن، فأصبحت الجارية تسيطر على الخليفة أو السلطان سواء كانت أمه أم محظيته، وانتقم بذلك ممن سلبهن حربيتن..»

وقد اشتهر الكثير من أولئك الجوارى الأوروبيات الأصل اللاتي كان لهن الدور في إدارة دفة السياسة والدسائس والمؤامرات والقتل في القصر العثماني، منهن خرم سلطنة سرية السلطان سليمان القانوني التي عرفها الأوروبيون باسم روسكالا، التي اختطفها الخاسون من وسط ألبيا في بلاد القوقاز، وهام بحبها السلطان، وخضع لها فاستمدت قوتها وسيطرتها من ضعفه وحين وصل السلطان إلى الشيخوخة أحكمت السيطرة على قلبه وعقله فبلغ نفوذها الذروة، ووجهت البلاد على النحو الذي تريده، كل ذلك من مقصورتها التي أطلق عليها اسم «القص»..

الخصيان

«الخصيان» هم فئة من الرجال منقطعي النسل.. إما لأنهم ولدوا من دون أعضاء تناسلية أو أعضاء معطلة، أو ممن أضععوا إلى عملية خصاء متعدد لتعطيل طاقاتهم الجنسية بهدف العمل داخل قصور السلاطين والتجّار ورجال الدولة.

ويخدم جزء من «المخصّين» في الدولة العلية العثمانية في دواوين الرجال، أو في قصور (الحرمك) ويطلق عليهم لقب (الأغوات). كان الخصيان يجرسون دار الحرم ويقومون بإدارة الكثير من شؤونها. ومنذ مطلع القرن الخامس عشر، وحتى نهاية القرن السادس عشر، كان أغلب خصيان «الحرمك» من البيض، ومن أصول قوقازية، وأثناء حكم مراد الثالث استلم ثلاثة من الخصيان السود مناصب مهمة في «الحرمك». ومنذ ذلك الحين أخذت أعداد كبيرة منهم تدخل القصر العثماني، وكان رئيس «الخصيان» يتبوأ المركز الثالث في الدولة العثمانية بعد السلطان والصدر العظم ويعرف باسم (الكلزال آغا) أي أكبر موظفي القصر، وقد بلغ عدد الخصيان السود المستخدمين في حريم السلطان في القرن الثامن عشر ٢٠٠ خصي، يضاف إليهم عدد آخر كان يقوم بالخدمة في قصور السلطان الأخرى وفي أجنحة الأميرات العازبات وقصور

سوسن صيداوي

إنّ الفن المسرحي فن متكامل، تجتمع فيه فعاليات كثيرة لتؤمّن له النجاح، فالمرحج المتميز، والممثل القادر، والديكور المعبر والإضاءة، والملابس والموسيقا، وغير هذا مما يتطلبه الفن المسرحي. ولكنّ النص، يبقى في طليعة هذه الفعاليات جميعاً.. فهو المنطلق الحقيقي والعصب الرئيسي الذي يحرك أغلبية الأشياء في هذه العملية المركبة الصعبة، ولا يمكن أن تقوم نهضة مسرحية حقيقية إلا على أكتاف كتاب مسرحيين أولاً، وكتابة مسرحية واعية.. هذا ما جاء ضمن مقدمة كتاب «المسرح السياسي في سورية» للدكتور غسان غنيم، والذي صدر عن وزارة الثقافة | الهيئة العامة للكتاب، بواقع ٤٢٦ ورقة.

تهزّب المسرح من السياسة

كان المسرح قبل عام ١٩٦٧ يتهزّب من القضايا السياسية- إلا في الجانب القومي- ففرّق

الوجه الآخر للدولة العلية العثمانية

# يسودها القتل والتدمير والمؤامرات وجبروتها ممزوج بالمجون

كانت تلك الدولة العثمانية عبارة عن «لمامة» من شعوب العالم، بمن فيهم سلاطينهم وأمراؤهم الذين أغلبتهم أولاد زنا، وقد قاموا باحتلال أجزاء واسعة من العالم، هذه الدولة كانت دولة قوية عسكرياً وسياسياً واقتصادياً.. ودامت لأكثر من ٦٠٠ عام على القتل والدم والنسائس والإمارات.. ومع ذلك أطلق عليها العديد من ذوي الشأن الخلافة العثمانية، واعتبرت عند العديد من أصحاب الشأن أيضاً أنها الدولة الإسلامية التي فتحت العالم! وحتى مناهجنا الدراسية قبل عام واحد كانت تستخدم مصطلح الفتح العثماني أو الخلافة العثمانية؛ وغضت النظر عن القتل والتدمير في هذه الدولة وعن الفسق والمجون في أركانها، وعن الجوارى والخصيان الذي كانوا يحكمون طوقها؟! سنحاول هنا قراءة الوجه الآخر لهذه الدولة، وأنها دولة جوار وخصيان! يسودها القتل والدماء بلا رحمة ولا راحة في كل أنحاء السلطنة رغم قوتها وجبروتها!

تعليماته، حسب الرواية الرسمية التركية، من أجل خلق نجله يعقوب حتى لا يتنافس شقيقه بيازيد الأول في الحكم، ناهيك عن قطع رؤوس أصحاب المناصب العثمانية فملاً السلطان سليمان خان قطع رأس قائد الانتكشارية فرحات باشا، والسلطان أحمد خان الأول قطع رأس الوزير الأعظم، والصدر الأعظم صوفي محمد باشا قتل خلقاً عام ١٦٤٩ م، والصدر الأعظم أياضه يساوش باشا أعدمه عام ١٦٥٠ م، والصدر الأعظم داماد أشير باشا أيضاً أعدم... إن سيرة القتل في السلطنة العثمانية حكما أو بالقتل الأول من نشوئها، فيتحدث الكاتب والصحافي الشهير التركي شاتين اطان، في كتابه «خفايا التاريخ»، عن الخلاف الذي نشب بعد وفاة أرتوغرول بين ابنه عثمان وعمه دوندار، وانتهى بقتل عثمان لعمه واستيلائه على الحكم...

وتبيّن المعلومات التركية، أن السلاطين العشرة الذين حكموا الدولة العثمانية بين عامي ١٢٩٩ و١٥٦٦ ميلادي قد قتلوا جميعاً أبناءهم أو أشقائهم من دون أي رحمة من أجل السلطة، وقد استمرت هذه «العادة» في العائلة العثمانية حتى انتهاء الحكم العثماني عام ١٩٢٢، حيث ارتكب جميع السلاطين وعددهم ٣٦، باستثناء ٩ منهم جرائم عائلية..

والجسوري السلطانات اتبعن طريق السلاطين في قتل أبنائهن، فالسلطنة كوسم أزاخت أبنها السلطان «إبراهيم، من فوق العرش، وسلمته إلى الجلال ليقتله وأعدم بعد عزله بـ١٥ أيام في ١٨ آب ١٦٤٨ م، كما حاولت قتل حفيدها «محمد الرابع، ذي السنوات العشر، وكانت مدة حكم كوسيم ٣٧ عاماً، والسلطة جورهان ابنة السلطنة كوسيم قتلت أبناء أخيها السلطان مراد الرابع، والسلطنة هرم أعدمت زوج السلطنة فاطمة «قرة أحمد باشا»، واستمرت حكم الجوارى في الدولة العلية العثمانية حتى انهارت..

في الخلاصة، إن الحقيقة المؤرخة تقول إن عدد الأمراء العثمانيين الذين قتلوا على أيدي أبنائهم وأشقايتهم وأبنائهم قد وصل إلى ١٢١، مقابل ٤٤ رئيساً للوزراء «الصدر الأعظم» أعدمهم السلاطين العثمانيون.. حقيقة يجب أن نوضع أمام نصب عيني كل من يحلم بأمجاد تركيا العثمانية، ويعتبر أن نموذجا الحالي المثالي هو الذي يقوده بقيادة العثمانيين الأصليين أردوغان – داوود أوغلو «حسب قول الكاتب والصحفي التركي شاتين اطان».

هذا هو الوجه الآخر للدولة العلية العثمانية، فإذا كان قتل الأبناء والأحفاد والإخوة سم السلطنة، والجواري والخصيان يتدبرون شؤون الحكم، فترى كيف كان واقع شعوب السلطنة؟

## المراجع

- الدكتور عبد العزيز الشناوي في كتابه «الدولة العثمانية»..
- كتاب «الحرم السلطاني» للكاتبة التركية ميرال أنتون دال.
- كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تأليف أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني.
- ما كذكر في متن المقال.
- أرشيفي الخاص.

المسرح السوري صوّر المثقف ابن الطبقة البرجوازية

# د.غنيم: المسرح السوري عالج قضايا المجتمع وأولها «هموم الوطن»

المعاصر، قسمه إلى ثلاثة فصول تتحدث جميعها

عن الهموم التي عالجها المسرح السياسي فانكتب بذلك مشروعية تسمية، حيث تناول حسب المؤلف بدأ موقفاً سلبياً يحمل الكثير من وقضية الحرية وقضية المثقف وموقف المثقفين من الأحداث السياسية التي مرت بالوطن والذي حسب المؤلف بدأ موقفاً سلبياً يحمل الكثير من بذور الشك والريبة في أخلاق المثقفين وطبائعهم كما قال د. غنيم «وجدت في هذا مفارقة تتجسد في أن هؤلاء المسرحيين، ما هم إلا متفقون ولكتهم، حين تحدثوا عن المثقفين، وفقوا منهم موقفاً سلبياً، وقد أعدت ذلك إلى أن المسرح السوري، قد صور نموذج المثقف ابن الطبقة البرجوازية الصغيرة الصاعدة والذي يحمل أخلاق طبقته، ولم يصور النموذج الثوري الذي يحمل هموم مجتمعه، ويحاول أن يطرح آفاق الحل أمام الجماهير التي تحتاج إلى من يبين لها الدرب دائماً».

أما الفصل الثاني فدرس «هموم الوطن» وهي كثيرة، منذ الهم القومي الممثل بالوحدة العربية همّاً أساسياً، وبالقبضية الفلسطينية همّاً آخر، واحتل حيزاً كبيراً في خارطة المسرح السياسي السوري المعاصر، يقول د. غنيم «تناولات الحرب، وعرضت لحرب حزيران، ثم لحرب تشرين، ثم لوقف المسرح السوري من الحرب بشكل عام، ثم درست «الثورة» كموضوع رئيسي من موضوعات المسرح السياسي، في

المسرح السوري المعاصر، الذي فرّق في معالجة الثورة بين ثورة مثالية وأخرى منظمة، وأخرى مجهضة».

أما الفصل الثالث فقد خصصه المؤلف للتحدث عن هموم السلطة عارضاً للأساليب التي ذكرها المسرح السوري، التي تبيّت السلطة أركانها من خلالها، ولأساليبها في القضاء على المعارضة من قمع وإصلاح أو إجراءات أخرى متصن من خلالها نفقة الناس، مبيّناً بأن المسرح السوري قد اظنّب في الحديث عن الهموم السلبية للسلطة وأغفل أو تغافل عن ذكر الهموم الإيجابية لها، فلم يكن بذلك يتوخى الدقة الموضوعية.

أما الباب الثالث فقد خصه المؤلف للحديث عن تقنيات المسرح السياسي التي تميز بها، من خلال كثرة استعماله إياها وذلك من خلال ثلاثة فصول، مبتعداً عن التقنيات الفنية التي تقوم عليها المسرحيات المعوم من لغة أو حوار أو حبكة... إلخ لأنها تقنيات رئيسية لا تقوم المسرحية من دونها.

تحدث الفصل الأول من هذا الباب عن تقنية «الإبعاد الزمني والمكاني»، وعن استعمال الرموز، وهذه التقنية شائعة في المسرح السياسي السوري المعاصر كما أنها ليست مقصورة عليه، وقد يعسر الكثير من الحرية والجرأة للمسرحيين السوريين في تناول موضوعات وقضايا مهمة جداً، ومعالجتها بكثير من الحرية.



الجارية كوسم



محمد الفاتح



سليمان القانوني



الجارية هرم

في حين تناول الفصل الثاني تقنية «التغريب» التي اشتمل المسرح السياسي في الجوء إليها تأثراً «ببريشت» وبمسرحة أولا ولقدرة هذه التقنية ثانياً على إغناء المضمون السياسي، وخدمة هدف المسرح السياسي في إيقاظ المثلقي وعدم السماح له بالعرق في الوهم.

أما الفصل الثالث فقد جاء بالحديث عن التجريب الذي شاع في المسرح السوري على الرغم من التأصيل، لأن التأصيل الذي يبحث عنه التجريبيون لن يتسنى للمسرح العربي، ما لم تتأصل شخصية الفنان العربي التي

وعلى خلفية الحضارة المعاصرة والفلسفات المختلفة، والتقنية الحديثة، ما لم يصيغ المسرح ركناً أساسياً في حياة الإنسان العربي وفي تكوينه الشخصي.

في الخاتمة

أنهى الدكتور غنيم بحثه بالخاتمة التي عرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتي اعتمد فيها على المنهج الاجتماعي بدلالاته العامة، محاولاً تبيان أهمية العلاقة التي تربط الأدب بالمجتمع، كما تناولت الخاتمة الجزئيات بشكل إذا جمع القارئ بين هذه الجزئيات تشكّلت لديه صورة متكاملة عن فكر كل مسرحي سوري وعن أدبه وفنه، وتشكلت لديه صورة متكاملة عن المسرح السوري المعاصر.